المحاضرة رقم ٢ ٠:

الإخراج الصحفي: نشأته وتطوره.

لقد عرف الإخراج الصحفي نزعات واتجاهات مختلفة في تاريخه القصير فسادت المراحل الأولى من عمر الإخراج النزعة التقنية التي كانت تسعى لإبراز إمكانات الطباعة تقنيا ومع ازدهار الطباعة والصحافة وبروز شخصية المخرج الصحفي ودوره في العمل الصحفي سادت النزعة الجمالية التي سعت إلى إضفاء مسحة جمالية متميزة تهدف إلى إعطاء الصحيفة طابعا مميزا بالإضافة إلى النزعة الوظيفية التي تهدف إلى توظيف عناصر الإخراج كلها نوعا وكما وحجما لتحقيق الغاية من المادة موضوع النشر مع الاستعانة بالنزعات السابقة.

ومع أن الصحافة وجدت منذ ما يزيد على أربعة قرون فإن الإخراج الصحفي لم يدخل التاريخ إلا منذ قرن واحد، فقد كانت الصحف بادئ ذي بدء مجرد نشرات تجارية موجهة إلى جمهور خاص جدا وكانت إمكاناتها التقنية محددة تماما، وكان يتولى الإخراج طباعون لا يعنيهم إدراك مضمون المادة موضوع النشر ولا الهدف منها، ويقتصر عملهم على توزيع المواد المراد نشرها على الصفحة بحيث تستوعبها تماما من دون خطة أو هدف.

فمنذ نشأة الصحافة عقب ظهور المطبعة عام 1436 على يد الألماني يوحنا جوتنبرج، لم يعرف الإخراج الصحفي بهذا الاسم والمفهوم وإن كان مرتبطا ارتباطاً وثيقاً بفن التحرير الصحفي، كما لم يكن الإخراج بالصورة الحديثة التي نعرفها الآن، فقد كانت عملية الإخراج مماثلة تماما للنظم المتبعة في إخراج الكتب ،بل إن الصحف نفسها كانت تسمى كتب الأخبار **NEWS BOOKS** ولم يكن غريبا أن تظهر الصحف بمظهر الكتب من حيث الإخراج والتبويب وطريقة الطبع وأسلوب الكتابة والتحرير، وليس أدل من تماثل مفهوم الكتاب والصحيفة في ذلك الوقت من أن بعض الصحف والمجلات كانت تتسلسل أرقام صفحاتها من بداية آخر صفحات العدد إلى بداية العدد التالي على اعتبار أنها تكون في مجموعها كتاباً واحد.

وفي أواخر القرن السابع عشر حدثت تطورات مهمة وتحسينات كبيرة في صناعة الصحافة، فقد تقدمت صناعة ماكينات الطباعة وصناعة الحبر والورق تقدما كبيرا وأدخلت أساليب حديثة في مجالات الاتصال، التوضيب والتصوير والنقل والتوزيع وأدى ذلك إلى ازدياد سرعة تواتر الأنباء، وكذلك ادى انتشار التعليم إلى تبدل نوعية الجمهور وازدياد عدد القراء وتوزعهم على مساحات شاسعة وفي مناطق متباعدة، كما طرأ تغير على اهتماماتهم ما أدى إلى تنوع مواد الصحف ومضاعفة حجم المواد المطلوب نشرها.

وفي أواخر القرن ١٨ بدأت الثورة الصناعية في أوروبا وانتقلت إلى شتى بقاع العالم كما انتشرت بذور الديمقراطية وما تضمنته من أحلام الشعوب واعترفت الدول بواجباتها الاجتماعية وحملت على عاتقها مهمة تثقيف الناس وتعليمهم، وكان لا بد للصحافة أن تتأثر بهذه التيارات الجديدة وتتوسع في وظيفتها، وهكذا ولدت الصحافة الشعبية لكي تساير العصر الجديد وتتوجه إلى الكتل الشعبية التي تعد بالملايين واهتمت هذه الصحافة بالأخبار الخفيفة والحوادث الطريفة إلى جانب اهتمامها بالنواحي السياسية والاقتصادية الجادة.

وكان لابد للصحافة الشعبية الجديدة أن تغري القراء بوسيلة جديدة في الإخراج يتماشى مع مضمونها المتنوع، إذ أن الإخراج الصحفي القديم الذي يتناسب مع الموضوعات الجادة وطبقة القراء من الخاصة لا يمكن أن يتماشى مع المضمون الإخباري المتنوع والموضوعات الخفيفة التي تميزت بها الصحافة الشعبية.

وكانت الصحافة لا تعرف العناوين أو الصور أو الرسومات لصعوبة نقلها على الورق وبدأت العناوين الكبيرة في الظهور بعد اكتشاف وسائل الحفر على المطاط ثم على المعدن، حيث شقت هذه الوسائل طريقها إلى الصحف لتغير مظهرها بشكل كبير، وبدأ الإخراج الصحفي الحديث يتبلور بعد ظهور المانشيتات على عرض الصفحة في صحيفة وورلد **WORLD** التي أصدرها جوزيف بوليتزر سنة1891 ، بالإضافة إلى التوسع في نشر الصور والرسوم والمبالغة في الأخبار المثيرة، وفي 1914 نجحت تجربة نورثكليف بإصدار صحيفة الديلي ميرور.**DAILY MIRROR**

ورغم أنها كانت أول صحيفة تطبق فن الإخراج الصحفي الحديث بالنسبة للصحافة الخفيفة المصورة، وظلت طريقة الدايلي ميرور هي الطابع العام لفن الإخراج حتى سنة ١٩٣٣ أين تولى آرثر كريستيانسن رئاسة تحرير صحيفة الدايلي اكسبرس **DAILY EXPRESS** فرأى أن طريقة الدايلي ميرور مقيدة بنظام الأعمدة وأنها تحد بذلك من حرية المخرج الصحفي في العرض ولأول مرة في تاريخ فن الإخراج الصحفي ينظر إلى الصفحة في الجريدة على أنها لوحة بيضاء يعرض عليها من المواد الصحفية ما يشاء دون التقيد بالأعمدة. وهكذا تحرر الإخراج الصحفي من أغلال الأعمدة وأصبح المجال وأصبح المجال متسعا أمام المخرج والمصور والفنان لإخراج الصحيفة بصورة جذابة جميلة، تغري القارئ بشرائها واقتناءها، حيث انتشر هذا الأسلوب بعد ذلك وطبق في الصحافة النصفية والعادية.

وتطور الإخراج الصحفي مع تطور وظيفة الصحيفة في المجتمع وفرضت على كاهل الإخراج الصحفي مهام متعددة أبرزها إضفاء شخصية متميزة على الصحيفة والتعبير عنها والمحافظة عليها، والإسهام في تحقيق سياسة الصحيفة وإبراز توجهاتها وتقويمها للأحداث والموضوعات وموقفها منها ويكون ذلك بتبني هيكل طباعي متماسك والإفادة من المساحة المتاحة في الصحيفة أقصى إفادة ممكنة لكثرة المواد وزيادة أهمية

الإعلان اقتصاديا إضافة إلى إعطاء الصحيفة مظهرا جماليا يجتذب القارئ وإيجاد علاقة مناسبة بين الشكل والمضمون والمحافظة على وحدة الأسلوب مع التنوع في الشكل وسهولة القراءة وإبراز ما يشد انتباه القارئ ويربطه بالصحيفة.

لقد شهدت المجالات المختلفة للإخراج الصحفي قفزات سريعة تمثلت في تبلور الأداء الوظيفي لهذه المجالات بصورة لم تكن معهودة فيما مضى مما أسهم في الارتقاء بالأدوار الخاصة للإخراج سعيا وراء تكامل العمل في مجال إنتاج الصحف وهناك عدة عوامل تقنية ومهنية ساهمت في تطور الإخراج الصحفي نذكر فيما يلي :

١- التقنيات الحديثة في مجال تجهيز الصفحات للطباعة، بدءا من ظهور أجهزة الصف الآلي للحروف وظهور الشبكات الدقيقة الصالحة لطباعة الصور بصفة عالية، إضافة إلى ارتقاء النوعيات المستخدمة من ورق الصحف لتبدو أكثر مناسبة للاستخدامات المعاصرة للعناصر الطباعية ووصولا إلى الاستخدام الشامل للتقنيات في هذا المجال من خلال تقنيات الحاسوب الخاصة بالإخراج الالكتروني في إنتاج الصفحات الجاهزة للتصوير على الألواح الطابعة متخطية بذلك المراحل التقليدية للإنتاج حيث كانت الصفحات تمر بمراحل عدة منها التنفيذ، والمونتاج في طريقها للوصول غلى مراحل الطباعة النهائية.

٢- ظهور الطباعة غير المباشرة مما أدى إلى إعطاء نتائج طباعية أجود وأدق من النتائج السابقة إضافة إلى ظهور الطباعة الملونة ودخولها عالم الصحافة اليومية مع تزايد اهتمام الصحف والمجلات بهذا النوع من الطباعة كذلك ما أسفرت عنه التقنيات الحديثة من اكتشاف الطباعة الآلية المعتمدة على الاستخدامات الحاسوبية التي عملت على إلغاء الحاجة إلى الأسطح المعدنية الطابعة، حيث يمكن لآلات الطابعة أن تحصل على الوجه الطابع من ذاكرات الحاسب الآلية مباشرة دون وسيط.

٣- ارتقاء أذواق القراء بفعل التغيرات الحديثة في الظروف المحيطة بهم، مما هيأ لهم درجة عالية من الوعي والقدرة على إدراك العلاقة الصحيحة بين المضمون والشكل وهو ما أسهم في ارتقاء القدرات المهنية للصحف بهدف مواكبة هذه المستويات المتقدمة من الوعي لدى القراء من خلال الاستغلال الأمثل للعناصر المستخدمة ومن خلال التقدير النسبي الصحيح لقيم المواد الصحفية المنشورة في مختلف الصفحات ومن خلال التوظيف المناسب لأسس التصميم وأهدافه.

٤- تزايد المنافسة التي أخذت تواجهها الصحف بالذات من وسائل الاتصال الإلكترونية، التي استطاعت أن تكسب الجماهير بفضل ما يتوافر لها من مميزات جعلت التفاعل مع وسائل الإعلام من

خلالها يبدو أسهل وأوسع، الأمر الذي أدى إلى أن تحاول الصحف أن تسهل أمر استفادة القراء منها في مسايرة تامة للأسباب الظاهرة المؤدية إلى اكتساب الوسائل الالكترونية لجماهير وسائل الإعلام.

٥- ظهور الاتجاهات الحديثة في فنون التحرير الصحفي القائمة على الاستفادة من تقنيات البحوث العلمية حيث نشأت صحافة الدقة القائمة على التغطيات التفسيرية للأحداث بشكل دقيق إضافة إلى استخدام هذه التقنيات في قياس الرأي العام وفي تحليل المضمون والقيام بتجارب علمية لجمع المادة التحريرية الصحفية ومن ثم تحليلها والخلوص إلى بعض الحقائق منها وهو ما استدعى ارتقاء الصحف بأساليب الإخراج التي تقدم بها هذه المواد بغية مسايرة المستويات العلمية المتضمنة فيها وبغية العمل على تسهيل وصول المضامين التي تعبر عنها إلى القراء بما يهيئ فرص استيعابهم لها